فصلية اللسان المبين(بحوث فى الأدب العربى)
(علمية محكّمة)
السنة الرابعة، المسلسل الجديد، العدد العاشر، شتاء ۱۳۹۱، ص۷۶-۹۶

صورة الشهيد فى شعر أحمد دحبور و معين بسيسو*

رقيه رستم پور ملكى
استاذة مساعدة بجامعة الزهراء (س)
فاطمة شيرزاده
طالبة الدكتوراه بجامعة الزهراء (س)

الملخّص

إن قضية الشهيد و الشهادة قضية قد عنى بها الأدب الفلسطينى خاصة الشعر الفلسطينى بعد نكبة ۱۹۴۸ التى خاضها أبناء فلسطين فى غمرة النضال مع الصهيونية، و دخل الشعر الفلسطينى معركة المقاومة بعد هذه السنة كى يقف إلى جانب البطل المضحّى بحياته و من ذلک القصائد التى ركّزت على موضوع الشهيد.

فمثل هذه القصائد امتلأت صفحاتها بالكوارث التى حلت بشبابهم و ذكر أمجادهم و نيلهم درجة الاستشهاد فى هذا الطريق و إثبات هذا الأمر أن طريق الاستشهاد هو الطريق الوحيد الذى يوصل الأمة إلى النصر. و قد انعكس هذا فى الشعر الفلسطينى لأن الشعر له تأثير فاعل فى إيصال نداء الشهيد إلى شعبه و تحقيق النهضة و الحركة بينهم لأخذ الثأر و استمرار حركته .

يعدّ أحمد دحبور و معين بسيسو من الشعراء الفلسطينيين الذين اهتموا بقضية الشهيد و الشهادة فى قصائدهم إذ إنّ كثيراً من قصائدهما تشمل هذا الموضوع بكلّ أبعاده و جوانبه.

يستهدف هذا البحث نظرة عامة إلى موضوع الشهيد فى قصائد الشاعرين المذكورين و بيان الأسلوب الفنى فى هذه القصائد من اللغة الشعرية و الصورة و الموسيقى على أساس دواوينهما الشعرية بعد ۱۹۴۸م حتى ۲۰۰۰م .

الكلمات الدليلية

الشهيد، أحمد دحبور، معين بسيسو، اللغة الشعرية، الصورة، الموسيقى

---

* - تاريخ الوصول: ۱۳۹۱/۰۶/۲۰ تاريخ القبول: ۱۳۹۱/۱۲/۲۱

عنوان بريدالكاتب الإلكترونى:**rostampour2020@yahoo.com**

المقدمة

أحمد دحبور شاعرٌ فلسطينيٌ ولد فى حيفا عام ١٩۴۶ لكن عائلته اضطرّت للفرار إلى لبنان عندما سقطت المدينة فى أيدى القوات الصهيونية عام ١٩۴٨ و تأثر بالشخصيات المؤثرة كما يقول «أمى و الزير سالم و موريس قبق... الشخصيات الثلاث التى لولاها لما عرفت إذا كنت سأصل إلى الشعر ، أو ما إذا كان وصولى سيكون على هذا النحو» (أبوشاور، ٢٠٠٣م،۴٣۶) وشعره يعكس إحساساً فاجعاً بالحياة و هو يكتب شعراً مكرّساً للتجربة الفلسطينية، فهو يمزج الموضوعات البطولية بإدراكه العميق للمخاطر و المحن التى ألّمت بالتجربة الفلسطينية المعاصرة (الجيوسى، ١٩٩٧م،٢١۶) صدر ديوانه الاول (الضوارى و عيون الاطفال) عام ١٩۶۴ عندما كان فى سن الثانية عشرة من عمره.(صدوق،٢٠٠٠م،۶٢) و صدرت منه حتى الآن ثمانى مجموعات شعرية من ضمنها « حكاية الولد الفلسطينى (١٩٧١م) »، « طائر الوحدات (١٩٧٣)»، « بغير هذا جئت (١٩٧٧م)»، « اختلاط الليل و النهار (١٩٧٩م)»، « واحد و عشرون بحراً (١٩٨٠م)»، «شهادة بالأصابع الخمس (١٩٨٢م)» و «هكذا (١٩٩٠م)» (الجيوسى، ١٩٩٧م،۶٢).

و معين بسيسو واحد من الشعراء و كتّاب المقالة الفاعلين فى الحركة الوطنية الفلسطينية ولد عام ١٩٣٠ أو عام ١٩٢۶فى غزّة، التحق بالجامعة الأمريكية فى القاهرة و كان يدرس هناك عندما وقعت كارثة ١٩۴٨و قد عاش بعد ذلک مدة من الزمن فى غزّة و لكنه اضطرّ إلى تركها و الهجرة إلى بعض البلدان العربية بسبب انتمائه إلى الماركسية. كان بسيسو ناشطاً سياسياً فى جميع الأماكن التى عاش فيها مما عرّضه مراراً للنفى و السجن. و خلال السنوات الأخيرة قبل وفاته عمل فى منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت (المصدر نفسه،١۵٢) بدأ بنظم الشعر مع بداية النكبة الأولى عام ١٩۴٨م و من مولفاته: «ديوان المعركه(١٩۵١م)»، « ديوان فلسطين فى القلب (١٩۶۵م) ».(صدوق،٢٠٠٠م،۶٢٩)، « الأشجار تموت واقفة (١٩۶۶م)» و« الآن خذى جسدى كيساً من رمل (١٩٧۶م)» (الجيوسى، ١٩٩٧م،١۵٢).

أهمية البحث و الهدف منه

تأتى أهمية البحث من أنه يبحث فى موضوع الشهيد كبطل يتحول دمه إلى طاقة تدخل فى جسد الأمة و تدفعه نحو مكافحة الظلم و الاستعباد و بما أنّ دحبور و بسيسو قد عاشا معظم حياتهم كمنفيين خارجاً عن فلسطين فيبدو أنّ احتلال وطنهما و الحياة فى المنفى قد أثّر بشكل مباشر على قصائدهما حيث إنّ المضامين الشعرية عندهما كمعظم الشعراء الفلسطينيين محفوفة بالمفردات الناتجة عن هذه القضية.

أما الهدف من البحث فدراسة موضوع الشهيد شكلاً و مضموناً فی قصائد هذين الشاعرين و موضعهما فی هذا المجال؛ ذلک أنّ الشاعرين المذكورين قد وظّفا الموضوعات البطولية مركّزين على الشهيد و الشهداء قادرين على تحريک مشاعر معاصريه باستخدام الألفاظ الدّالة على معانی المقاومة فی إطار الصور القيمة أدبياً .

منهج البحث

يقوم البحث على المنهج الوصفی لإيضاح مفهوم الشهيد و إمعان النظر فی الشعر الفلسطينی المعاصر مستهدياً بالرؤية التحليلية فی قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو شكلاً و مضموناً للوصول إلى الرؤوية التی تبيّن موقف الشاعرين المذكورين من الشهيد و الشهادة.

خليفة البحث

و من الدراسات المسبقة فی الموضوع كتاب « الشهيد و الشهادة فی الشعر العربی فی صدر الإسلام و العصر الأموی » الذی قد كتبه عبد الرحمن علاوی الجبيلی و هذا الكتاب قد اهتمّ بالشهيد فی الشعر مرتكزاً على صدر الإسلام و العصر الأموی دون أن يعالج قصائد الشعراء المعاصرين .

و كتاب « اندفاع نحو الشهادة » لمحمد على آذرشب، و هذا الكتاب قد درس موضوع الشهيد و الشهادة دراسة نظرية دون تطبيق على الأدب .

و من المقالات « الشعر الفلسطينی و اللاجئون » لأحمد دحبور فی مجلة « رؤية » و هی نظرة عامة على الشعر الفلسطينی دون أن يدرس موضوع الشهيد دراسة تطبيقية .

هذه دراسات قد أفادت البحث و لكن لم ترتكز على الشهيد فی قصائد دحبور وبسيسو بشكل خاص.

أولاً : مفهوم الشهيد و الاستشهاد

تحمل مادة الشهيد فی المعاجم العربية دلالات متعددة و كثيرة منها :

۱)الحضور: كما ورد فی القرآن الكريم : « فمن شهد منكم الشهر فليصُمه » (البقره/۱۸۵) أی (من كان حاضراً غير غائب فی سفره) (الأزهری، د.ت، ۷۷/۶).

۲)الخبر القاطع أو القسم على الشیء : « و استشهدوا شهيدين من رجالكم » (البقره/۲۸۲) أی (أشهدوا شاهدين) (الفيروزآبادی، د.ت ، ۱/ ۳۱۶) .

۳)محضر الناس : « و شاهدٍ و مشهود » (البروج/۳) فالشاهد هو النبی و المشهود هو يوم القيامة (المصدر نفسه، ۳۱۷/۱).

۴)النبوة : « و نزعنا من كل أمة شهيداً » (القصص/۷۵) أی (اخترنا منها نبياً و كلّ نبی شهيد أمته) (المصدر نفسه، ۳۱۷/۱).

و الشهيد فى المصطلح الإسلامى بمعنى الذى يقتل فى سبيل الله تعالى كما ورد فى التنزيل العزيز : « و لاتحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون » (آل عمران/ ١٦٩) فهذه الآية الكريمة نزلت فى حقّ شهداء أحد الذين قتلوا بيد الكافرين المشركين .

و أما لتسمية الشهيد بهذه التسمية أسباب متعددة و منها :

١)الشهيد هو الحىّ عند ربه و على أساس الآية المذكورة (آل عمران/ ١٦٩) كأن أرواحهم أحضرت دارالسلام و هم أحياءٌ، و أرواح غيرهم أُخّرت إلى يوم البعث.

٢)سمّى الشهيد شهيداً لأنّ الله و ملائكته شهود له بالجنّة (انظر : الجبيلى، ٢٠٠٥م: ١٢-١١).

إذن دور الشهيد دور هامّ فى المجتمع و مصيره، إذ إنّ التاريخ يحدثنا أن الأمم تلجأ غالباً إلى السكوت و الابتعاد عما يثير غضب الطاغوت و تعلق طوق الذلة و المسكنة على رقابها و تتحول إلى جسد ميت لاحراك فيه، و مثل هذا المجتمع لا يستطيع أن يتحرك إلا أن يمزق طوق الذل المفروض عليه و لا يمكن هذا إلا بحقن دم ساخن متدفق فى جسده و لا يمكن أن يثير الثورة إلا أن يضحى بكل ما لديه للوقوف أمام هذا الانحراف فى المجتمع، و يقدّم أعزّ ما لديه. يقدم دمه و روحه و هذا ما يفعله الشهيد فالشهادة اذن عملية إحياء الأمة و إنقاذها من الاستكبار و الاستعمار (انظر: آذرشب، لا.ت:١٤).

للشهيد منطق قد عجزت التحليلات الفلسفية و العلمية و العقلية أن تعبر عنها و لا تستطيع أن تخلق انساناً مجاهداً يندفع نحو الاستشهاد لأنه إنسان قد تحررت روحه من قيود الشهوات النفسانية و وصل إلى حد نستطيع القول بأنّه منطق مزيج من منطق المصلح و منطق العاشق؛ منطق المصلح الذى يخفق قلبه ألماً لمجتمعه، و منطق العارف العاشق للقاء ربه. بتعبير آخر منطق الشهيد منطق الاشتعال و الإضاءة ، منطق الانصهار و الانحلال فى جسم المجتمع لبعث الحياة فى هذا الجسم، منطق تسجيل القيم الانسانية، منطق النظرة البعيدة .

و من هنا كانت كلمة «الشهيد» مقدسة عظيمة؛ و لا نعطى حق الشهيد تماماً إن وصفناه أنه «مصلح» لأنه فوق المصلحين أو أنه «بطل» لأنه أعظم من الأبطال؛ لا يمكن وصف الشهيد إلا بأنه «شهيد» و ليس بمقدورنا أن نستعمل كلمة أخرى (انظر: المصدر نفسه:١٥).

الشهيد و الشهادة فى الشعر الفلسطينى المعاصر

حينما نتأمل فى أشعار الشعراء الفلسطينيين بعد نكبة ١٩٤٨ ندرک هذه الحقيقة أن الظروف السائدة على فلسطين و الصعوبات التى قد فرضت على أهاليها من قبل اسرائيل قد تجلت فى أدبهم أيضاً و الأدب الفلسطينى مرآة صافية تعكس حالة الشعب الفلسطينى فى هذه الفترة (انظر: مصطفى، ١٩٨٦م:٣٧)، إذن يمكننا القول إنّ الشعر الفلسطينى

المعاصرظاهرة قد تجلّت فيها نقطتان رئيستان يجب النظر فيهما و هما : دلالة القصائد المعنوية و جمالية القصائد(أنظر: الجيوسی، ۱۹۹۷م:۷۶). أما النقطة الأولی فدراسة نكبة ۱۹۴۸ و الظروف الناتجة عنها فی القصائد و ظهور موضوع المقاومة « الذی كان واحداً من المواضيع المهمّة فی الشعر الفلسطينی فی الخمسينات و غدا هو الموضوع الرئيس فی السبعينات» (المصدر نفسه:۷۷) و المفاهيم التی تتعلق بهذا الموضوع خاصّة موضوع الشهادة و الشهيد فی أثناء دواوين الشعراء الفلسطينيين الذين عاشوا مأساة وطنهم و شهدوا عن قرب معاناة شعبهم وتضحية أبنائهم فی سبيل هذا الوطن. و منهم أحمد دحبور و معين بسيسو، فمثل مضمون الشهيد و الشهادة يأتی فی مقدمة مضامينهم الشعرية إذ لا يمكن الفصل بين معاناة الشعب الفلسطينی و قضيه الشهادة. إذن ولد موضوع الشهادة منذ ولادة النكبة الفلسطينية عندما واجه الوطن الضياع (انظر: مصطفی، ۱۹۸۶م :۳۸) فلذا يعود ظهور موضوع المقاومة فی القصائد إلی « الاكتشاف المنعش فی النصف الثانی من عقد الستينات عن حركة قوية نامية من شعر المقاومة تعود إلی شعراء يعيشون داخل إسرائيل و قد ساعدت نبرتهم العالية المليئة بالتحدّی و جلدهم الصامد فی إعادة الروح لعالم عربیّ أحسّ بالغدر بعد هزيمة عام ۱۹۶۷م» (الجيوسی، ۱۹۹۷م:۷۷) و تعزّز هذا الشعور فی أواخر الستينات مما أعاد الأمل و الثقة من جديد بعد فترة من التشكك و الرفض لمقومات المجتمع العربی و وجد الشعراء الفلسطينيون أنّ هذا الموضوع الذی عبّر عن ايمان راسخ ، نتيجة النضال و ضروریّ من أجل الحصول علی الحقوق المغتصبة (أنظر: المصدر نفسه:۷۸).

إذن الأدب الفلسطينی هو أدب قد امتلأت صفحاته بذكر مقاومة الأبطال و تضحياتهم و لا سيما فی الشعر الذی قدم صوراً من الشهادة و الشهداء؛ قصائد كهذه تدل علی مدی العناية التی أولاها الشعراء لتمجيد الشهداء و تخليد مآثرهم، حتی كانت أمنية بعض الشعراء الحصول علی الشهادة.(انظر: مصطفی،۱۹۸۶م :۳۹).

و أما النقطة الثانية فمصدرها التحول الذی حدث فی الشعر العربی بأسره – بما فی ذلک الفلسطينی– فی مجال اللغة و الصورة بعد السبعينات و هكذا بدأت « فترة من الحرص الواعی علی الناحية الجمالية اتصفت بدرجة عالية من التأنق المتعمد» (الجيوسی، ۱۹۹۷م:۷۶).

و البحث عن موضوع الشهيد فی دواوين الشعراء يجرنا إلی أن هذا الموضوع قد عنی به منذ صدر الاسلام، و بعد حادثة كربلاء، أصبح التطرق إلی مكانة الشهيد و تأثيره علی مسار التحولات فی المجتمع، من أبرز المضامين المتواجدة فی النصوص الأدبية و استمرت هذه حتی العصر الحديث، و أصبح جزءً لا نستطيع فصله من الأدب الفلسطينی خاصة.

فالمجاهدين الفلسطينيين قد تأثروا بقضيه كربلاء و حركة عاشوراء فى استمرار مقاومتهم بعد نكبة ١٩٤٨. وكنا نتوقع أن نجد الاهتمام بهذه القضية عند دحبور وبسيسو أكثر من هذا و لكنّنا وصلنا إلى نماذج قليلة خلال البحث حول الأشعار كما يقول أحمد دحبور: « تاجراً، و مقامراً و مقنعاً، كانوا دنانير النخيل / و دخلت فى موتى وحيداً استحيل /وطناً فمذبحة فغربة /يا كربلاء، تفور فى النار، أذكر كيف تنقلب الوجوه » (دحبور، ١٩٨٩: ٧٨)

وهذان الشاعران قد تناولا منهجين لعرض تصوير الشهيد :

المنهج الاول : التطرق إلى موضوع الشهادة كقيمة و التحدث عن الشهداء دون ذكر أسمائهم أو شرح وقائعهم مهما استلهم الشاعر فكره منها .

و المنهج الثانى : أن ينكبّ الشاعر على شهيد معروف و يتناول أعماله و تضحياته و أبعاد شخصيته و حياته .

و تبقى مثل هذه القصائد تصويراً خالداً من الجهاد فى نفوس أبناء الشعب، و تبذل روح الحياة الخالدة اليهم، و تقدم قدوة مثالية للأجيال القادمة، و تحكى بدمائهم أن البقاء بالتضحية، و النصر بالإيثار (قميحة، ٢٠٠١م: ٧٥– ٧٠) لكننا حاولنا استخراج المضامين التى تخص موضوع الشهيد و الشهادة ليس بالاعتماد على هذين المنهجين فحسب، بل ارتأينا أن نبحث عن الصور و المشاهد و الأفكار و المعانى فى إطار الموضوع الرئيسى .

نظراً لتوظيف موضوع الشهيد فى قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو توظيفاً حسناً تحاول هذه الدراسة أن تلقى ضوءً عاماً على الشهيد فى شعرهما إلا أن البحث لايدعى أنه يعالج كل جوانب الموضوع و هذا الأمر يتطلب دراسات متعددة .

و فيما يلى دراسة الشهيد و الشهادة و مظاهره المختلفة فى شعر أحمد دحبور و معين بسيسو .

الشهيد و الوطن

من أبرز المضامين التى تطرق إليها دحبور و بسيسو هو الاستشهاد فى سبيل الوطن، لأن الأرض، جغرافيا و نفسياً قد أصبحت محور الصراع و هى من أهم القضايا التى أقلقت الفلسطينى، فإن ذلک يشكل جوهر «القضية الوطنية » فى حياة الفلسطينيين (انظر: مصطفى، ١٩٨٦م،٣٠٢)، و قد ثبت طوال التاريخ، أنّ الشعب إذا أراد الحصول على الحرية لابد أن يدفع ثمناً قيماً و أنّ الانتصارات العظيمة لاتتحقق إلا بالمقاومة و الدم الأحمر، هذا هو الثمن القيم فالشهيد هو المجاهد الذى قد أشرف على أهمية هذه القضية و يعرف أن الاستشهاد هو المنهج الوحيد للهجوم المضاد على العدو، به يتم إحباط مؤامراته، و به يتم انقاذ الوطن من نير الاستعباد؛ كما يقول معين بسيسو فى قصيدة «الأرض »: «تفاجئنى الأرض / أن أكف

الصبايا /مرايا / و كف الشهيد ، بحجم السماء /تفاجئنی الأرض ... / و يرسم وجه فلسطيننا المقبلة » (بسيسو، ۱۹۸۷م:۶۶۴)

يشير معين بسيسو إلى أن أبناء الوطن يقاومون حتى إنقاذ الوطن من أظفار العدو و سيخططون بأنفسهم مصيره لأنه وطنهم و وطن آبائهم و الشهيد له تأثير فاعل فی تحرير الوطن و قد عبر عن أفكاره هذه بتعبير «كف الشهيد بحجم السماء » و هو أدقّ التعبير ليبيّن مكانة الشهيد فی سبيل الوطن .

و يتناول أحمد دحبور فی قصيدة «صفحة من كتاب الأغوار»الجهاد و الاستشهاد فی سبيل الوطن: « لمجاهد /فرح ، فی الأمر مرهون ، و أحزان صغيرة / و مجاهد/ فرح النار التی تكتشف الأرض الأسيرة (دحبور، ۱۹۸۳م :۲۳۹)

يؤكد الشاعر على أن المجاهد يجاهد لإطلاق سراح وطنه الذی أصبح أسيراً فی يد الأعداء و يقول إن للمجاهد «فرحاً مرهوناً» بسبب أمله لاطلاق وطنه و أحزانه التی قد صغرت بهذا الأمل و هذا الأمل يثير ناراً فی صدر المجاهد و يحركه لاكتشاف وطنه الأسير .

كما يعبر دحبور عن صمود وطنه بمعجزة الشهداء فی قصيدة «قصائد سفرية» و يعتقد أن الشهداء استطاعوا أن يحققوا الصمود و المقاومة فی الوطن و أبنائه و صمود المدينة يؤدی إلى إجلاء الغزاة الصهاينة عن فلسطين:« إنی أتابع معجزة الشهداء : / المدينة صامدة / و الغزات اللغات لديهم و لا يدخلون ... » (المصدر نفسه:۵۵۱)

و يعالج أحمد دحبور الشهيد و الوطن فی قصيدة «المعادلة» : «إنی أصحح : لا تعلق الارض فی شرک /يوم تصرخ كل حصاة بكل شهيد: و رأيی عدو فخذه ... (المصدر نفسه:۶۲۰)

يقول الشاعر إن الأرض لا تسقط فی أيادی العدو لأن كل شبرٍ من هذه الأرض يصرخ بكل قوة أنه استنفذ بدماء الشهداء وها هو يحميه و يذبّ عنه .

إذن حسب القصائد المذكورة فإنّ الشهيد بطلٌ يفدی نفسه و حياته لوطنه لكی لايستطيع العدوّ أن يحتلّه. و أحياناً يعتمد الشاعر على البيان غير المباشر فی توظيف مفهوم المجاهد و الشهيد و أحياناً يأتی بنفس لفظة الشهيد.

خلود الشهيد و تأثير دمه على المجتمع

من المضامين الأخرى التی تطرق إليها دحبور و بسيسو هو خلود الشهيد و تأثيره على وعی شعبه و استنهاض مجتمعه، لأن الشهيد هو الذی قد رفع علم الشهادة، و هو علمٌ يضمن حرية الوطن و الانتصار ، فللمحافظة على هذا العلم مرتفعاً لابد من وعی المجتمع و ذاک لايحقق إلّا بإراقة الدم فی عروق أبناء الوطن و يؤدی إلى إنهاضهم للثأر و إنقاذ وطنهم، إذ

يستدعى الشهيد من شعبه أن يخلدوه لان تخليد الشهيد رمزٌ لمواصلة نهضة قد بدأها الشهيد و رمز لإيصال ثورة الشهيد إلى الأجيال القادمة و توحدهم معه .

و يلتقط أحمد دحبور تأثير الشهيد على الشعب فى قصيدة « عرس على الطريقة الفلسطينية» :« فأضاء ... فقالوا : نور/ من يدرى ، و النار . . . المطر الوابل / تتدفق من كفيه ، و من رشاش الثارات الصاهل .../ قول الولد العاقل : /« سيخلصنا المهدى بالسيف / نفذت كالسيف / فى القلب الأخضر /فأضاء . . . فقالوا : نور»(دحبور، ١٩٨٣م: ٢٠٦-٢٠٤)

و الشاعر قد شبه الشهيد بمصباح منير يضىء ما حوله و يشعّ ضياءه و لمعاته و شبّهه ايضاً بمصدر ينبعث من كفيه النار و المطر، و كلاهما رمز للهداية و البركة. و هنا قد استخدم الشاعر هذه التشبيهات تأكيداً على تأثير دم الشهيد فى يقظة الأمة و وعيها ؛ ثم ينتهى بهذه اليقظة إلى ظهور امام العصر (عج) لإنقاذ المظلومين من نير الأعداء فيعلن أمله بالمستقبل، ثم يؤكد على تأثير الشهيد، بتعبير آخر حينما يقول: «نفذت كالسيف، فى القلب الأخضر» يصرح على عمق التأثير فى القلوب الصافية و خلوده فيها و قد عبر عنها «بالأخضر» .

و يشير معين بسيسو فى قصيدته «يوميات ملقن مسرح» إلى هذا المضمون : « كان ممثلاً فى كل ليلة دور الشهيد /و كنتم فى كل ليلة تلقون فوق جرحه الأزهار/ و تخرجون تصرخون /تطلبون رأس قاتله ... » (بسيسو، ١٩٨٧م:٣٢٨)

يشير الشاعر إلى تطوع أبناء الوطن للاستشهاد و ردّ فعل الشعب أمام هذه الحركة ، فيثير دم الشهيد نفوس الشعب الفلسطينى و هم يكرمون شهداءهم فى كل الليالى بإلقاء الأزهار على جثثهم و إثر هذا ينهضون بالثورة لإثارة دم شهدائهم و هذا يدلّ على أن دم الشهداء ينعش الثورة فى فضاء المجتمع و يجرى دماء الجهاد فى عروق أبناء وطنه و هكذا يستمرّ طريق الاستشهاد الأحمر.

و يتناول معين بسيسو فى قصيدة «ارفعوا الأيدى عن أرض القناة» تأثير دم الشهيد على يقظة أبناء وطنه : « أنا أكتب من أجل القناة... / بنجوم الدم تزهو فى النهار / نجمة تومض من كل رصاصة / أطلقتها من يد التل الكبير/ يد فلاح شهيد /لم تزل تنبض فى التل الكبير .../ نجمة من كل تأثر .../ نجمة من كل أبناء السلام .../ فردوا الروايات مثل الاجنحة / لن تمر الأسلحة .../نجمة من قلب عمان المجاهد /أبو خالد... » (المصدر نفسه: ٨٠-٧٩)

يقصد الشاعر أن الشهيد يترك بين أبناء وطنه أثراً حماسياً إذ يثيرهم و بالتالى تظهر من كل قطرة دمه نجمة فى سماء الوطن تضىء طريق الآخرين و هذا يدل على استرشاد أبناء وطن الشهيد و تأسيهم به و فى النهاية كل هؤلاء الأبناء يعلون رايةً قد رفعها الشهيد و هذا هو وعى المجتمع إثر استشهاد الشهيد .

و أحمد دحبور فی قصيدة معنونة بـ «المعادلة» يقول : « و اعجبها ان جرح الشهيد يضیء لها قلبها . . ./ فضياء الشهيد ، إلى القلب ، من كل جارحة يتغلغل» (دحبور، ١٩٨٣م:٦١٨)

و يتحدث الشاعر هنا عن فتاة ترمز للإنسان الفلسطينی و الهوية الفلسطينية. و هذه الفتاة قد تأثرت بدم الشهيد، و الدم النازف من جرحه يضیء قلبها. و هذا النور يشعّ فی كل جانب و يتلألؤ و يملأ نوره الاجواء و هذا بمعنى التأثير فی المجتمع و تسخير قلوب أبناء الوطن .

توديع الشهيد لأهله

قد تأثر شعراء فلسطين خاصةً دحبور و بسيسو بحقيقة أخرى قد تحققت فی هذه النكبة و انعكست فی أشعارهم بتعابير شتى، وهی وداع الشهيد مع أهله عندما يروح إلى المعركة. و أحياناً يذهب إلى المعركة دون أن يودع أهله و بلا زوادة، و الأدب الفلسطينی ملیءٌ بهذه المشاهد التی تثير الأحاسيس و الحزن فی المخاطب؛ الأم التی قد ربت ولدها بكل الامل ثم تدرک أهمية مصير الوطن فترسل ولدها الی ساحة القتال، أو راح دون وداع و الأم تبحث عنه. و مثل هذا المشهد ترک جرحاً عميقاً فی نفوسهما. و بما أنّهما كانا يشاهدان هذه القضايا عن كثب و ربما كانا من أهالی هؤلاء الشهداء فتطرقا إليها و قاما بتصويرها؛ كما يصور أحمد دحبور «وداع الشهيد» فی قصيدة «اجتراح معجزة يومية» : « لم يشغل التحرير بال الصائح المحرور لكن حرر التقرير عنی / قل وداعاً للسعيدة / قل وداعاً للبعيدة /قل وداعاً للطفولة و الرجال /و قل لابسط أمهاتک : إننی أضمرت فی /هذا الوداع . . . /«إلى اللقاء» (دحبور، ١٩٨٣م:٧٦١)

يقرّر الشاعر أنّ الصائح المجاهد الذی قد تحرّر لابد أن يودع أسرته و الصغار و الكبار وداعاً بعيداً و يقول : إنه لا بد أن يودع أمه و لا ينبس بكلمة «إلى اللقاء» كأنه يخفی هذا العنوان فی وداعه لأنه لا يرجع و يلتقط الشاعر غاية الحزن فی هذه العبارة إذ يثير الأحاسيس لوداع المجاهد و عدم عودته .

وأيضاً يشرح وداع الشهيد فی قصيدة «عرس على الطريقة الفلسطينية »: « و دعنا صاحبنا كامل /هل قلت: بكينا؟ /استغفر برد مخيمنا لو قلت : بكينا /استغفر صبر الأعوام العشرين /استغفر جيشاً مهزوماً يلقی التبعات علينا /استغفر امی ... » (المصدر نفسه:٢٠٦).

هذا شرح وداع الشهيد حينما راح إلى القتال، فهو يدعوهم إلى الصمود و عدم فزعهم حينما يروح. و قد استخدم الشاعر هنا كلمة «استغفر» للتأكيد على عدم حزنهم و على أنهم كلهم مجاهدون فی سبيل الوطن و مدركون لهذه الكارثة التی حلت بهم. و يستدعی العفو عن هذه الأعوام التی مضت عليهم، ثم من الجيش المهزوم فی المعركة، و فی النهاية يستغفر أمه أن تصبح حزينة عندما يروح المجاهد الی ساحة القتال .

الأم و الشهيد

حينما نتصفح صفحات التاريخ ندرک أن المرأة هی التی تشکل أحد أرکان المجتمع فی کل الساحات السیاسیة و الاجتماعیة و الثقافیة و غیرها، و إن لم تکن حاضرة فهی محور تحریض الرجل لاسیما الأم التی تربی جیلاً فی حضنها و لها تاثیر فاعل فی مصیر المجتمع و هذا یتبلور فی قضیة الجهاد أکثر فأکثر؛ إذ مصیر الشعب قد انضم تماماً إلی مصیر الأرض و ها هی الأم تحرک ابنها للمساهمة فی ساحة المقاومة و تحرر شعباً من براثن الأسر. و هذا الأمر لابد أن نهتم به و قد تجلی هذا فی الشعر الفلسطینی و انتبه الشعراء إلیه کما یقول احمد دحبور فی قصیدة «الهادیة» : « فبأی الوجوه نقابل أم الشهید ؟ ألا أستعیر/ غراباً لیأسی المؤقت یسأل : فیم تزغرد أم الشهید ؟ / انا أعلن الآن وقت البکاء /یا نساء فلسطین لا جرح ان بکیتن مر البکاء ... /وهاجمن هذی التوابیت /و اکشفن عن زین اخواتنا ألاغطیة » (دحبور، ١٩٨٣م:٢٢٩)یطرح الشاعر حجبه عن أم الشهید تساؤلاً « بأی وجوه نقابل أم الشهید ؟» و هو یستغرب و یبین إعجابه من زغردة أم الشهید فی مراسیم دفن ابنها فی حین قد حان وقت البکاء و علیها أن تبکی لولدها و هذا دلیل علی تأثیر أم الشهید البارز فی تحفیز ولدها للدخول فی ساحة المقاومة. ثم یخاطب النساء الأخریات قائلاً لا بأس ان تبکین بکاءً شدیداً لأن هذا الوقت، وقت البکاء ثم یصف هجومهن و تسرّعهنّ إلی تابوت الشهداء .

و أیضاً فی قصیدة «فاطمة المغربیة» یؤکد علی تأثیر أم الشهید فی تربیة «الجیل الشهید» :» و المرأة الحبلی – کما تدرین – قامت بالسلامة –/ نسلها أیضاً شهید ... » (المصدر نفسه:٢٥٠)

و أیضاً معین بسیسو یتناول هذا الموضوع فی قصیدة «دائرة الطباشیر الفلسطینیة» : « یا أم علی ... /یا أم ثلاثة الشهداء /ماذا تفعل شجرة ورد حمراء ، /فی زمن الجدران البیضاء ؟ /یا – أم علی – / مازال علی الحائط حجرٌ/ تکتبه شجرة وردٍ حمراء. . .» (بسیسو، ١٩٨٧م: ٦٥٣- ٦٥٤)

یخاطب الشاعر أمّاً قد استشهد ثلاثة من أبنائها و یتحدث معها عنهم و عن تأثیر دمهم الذی یفضی إلی غضب أبناء الشعب و یثیر الثورة لأخذ الثأر من أعداء الوطن و یبذل الأمل و الرجاء فی أمّ الشهید مادام الوطن باقیاً فهناک مجاهدون یدافعون عنه و لا یسمحون أن ینمحی دم الشهداء عن صفحة تاریخ الوطن، لأن الشهداء قد جاهدوا و بذلوا أرواحهم لیحفظوا روح المقاومة حیاً فی المجتمع، و علم الوطن مرتفعاً. و علی الأجیال القادمة أن تجعل هذا النداء نصب أعینها .

استمرار حركة الاستشهاد

تاريخ الشعوب يدلنا على هذه الحقيقة أن الاستشهاد طريق لايصل إلى مأزق، بل يستمر طوال نضال الحق و الباطل، و ليس دم الشهيد إلا دماً جارياً فى عروق الشعب، يفضى إلى ثورة غاضبة تقام حتى تستأصل جذور الباطل. و نشاهد أن البلاد التى تجرى فيها هذه النهضة تنتصر. و تاريخ فلسطين ليس منفصلاً عن هذه الحقيقة. و قد احمرّت صفحاته بدماء الشهداء الذين نهجوا طريق اتباع الأقدمين . و من النماذج الرائعة فى هذا المضمون قصيدة «المعركة» لمعين بسيسو التى يقول فيها : «فإذا سقطنا يا رفيقى فى حجيم المعركة /فانظر تجد علماً يرفرف فوق نار المعركة /مازال يحمل رفاقک يا رفيق المعركة » (بسيسو، ١٩٨٧م:٥٢)فيصرح الشاعر فيها أنّ علم الشهيد لن يسقط على الأرض و سيهتزّ طوال المعركة، لأن أبناء الوطن يواصلون نهضة الشهيد و هذا هو رمز خلود حركة الاستشهاد التى رفع الشهيد علمها .

كما يشير الشاعر قصيدة أخرى له إلى إستمرار حركة الاستشهاد مصرحاً بمتابعة طريق الشهداء القدماء من قبل الشهداء الجدد :« يذهب للخندق / ضيف آخر بالبيت الشهداء / الشهداء الجدد ، على مائدة الشهداء القدماء . . . » (المصدر نفسه:٦٣٣).

ثانياً: الأسلوب الفنى

إنّ الشعراء بعد السبعينات ركّزوا جهودهم على الجدّة و الطرافة فى استخدام الصورة و اللغة الشعرية، بحيث لم تشهد أىّ مرحلة من مراحل الشعر العربى مثل هذه الرغبة فى التغيير فى الصور الشعرية (أنظر: الجيّوسى، ١٩٩٧م:٧٨)، فالبحث يعالج الأسلوب الفنى فى قصائد دحبور و بسيسو فى موضوع الشهيد مستقلاً عن مضامينها؛ خاصّةً بعد أن وجدنا أنّ دحبور قد نشر بعض الدواوين بالموضوعات البطولية و عاد إلى الظهور بأصوات مختلفة خلال عقد الثمانينات و كتب « شعراً موزوناً لكنه أظهر ولعاً بالتجريب فى الأشكال الشعرية الموزونة أكثر من أىّ شاعر آخر من شعراء جيله، و ربما أدّى التزامه الرسمى بخدمة الثورة الفلسطينية إلى كبت جزئى لأحاسيسه المرهفة. و لكنّه كبت جزئى و حسب، إذ إنّ شعره ينبض بالإدراک العميق شبه الغريزى للمعنى الشامل الذى يكمن فيما هو مأساوى فى الحياة الفلسطينية المعاصرة» (المصدر نفسه:٨٤).

و مهما نجد أنّ قدرة بسيسوالتصويرية فى بعض النواحى من قصائده واضحة (أنظر: المصدر نفسه:٩٩) و لكن لم نحصل على ميزات الحداثة فى قصائده كما شاهدناها فى قصائد دحبور. و من الميزات البارزة فى قصائد بسيسو البساطة و نبرته المباشرة كما يقول عنه

بعض النقاد: « إنّ النثرية واضحة فى أغلب القصائد التى تغلفها خطابية عالية الصوت... نلمس فى بعض القصائد جنوحاً إلى البساطة » (مصطفى، ١٩٨٦م:٩٩).

اللغة الشعرية

اللغة هى وسيلة نقل للمعلومات و الأفكار من شخص إلى آخر و لكل لفظ فى اللغة المعجمية مدلول خاص؛ و اللغة فى التعبير الشعرى تختلف من عصر إلى عصر آخر بسبب اختلاف الظروف التى تخيم على كل عصر و قد تتميز ألفاظ اللغة لدى شعراء كل شعب عن شعب آخر و ذلک لتمييز الهموم و المشاكل عند الشعب (أنظر: أبوشاور، ٢٠٠٣: ٣٣٢).

و محنة الشعب الفلسطينى و المأساة التى حلّت بهم ، قد فرضت لغة جديدة فى عالم الشعر الفلسطينى حيث نستطيع أن نقول إنّ لغة الشعر الفلسطينى المعاصر تمتاز بخصائص معينة (أنظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م:٣٣٢).

من أهم ميزات لغة الشعر الفلسطينى وجود الكثير من الألفاظ و المصطلحات التى وجدت نتيجة لوقوع كارثة سنة ١٩٤٨ كاللجوء و الرحيل و النفى و التشريد و الاغتراب و من الشواهد على ذلک قصيدة «ارفعوا الأيدى عن أرض القناة» لمعين بسيسو التى قد استخدم فيها كلمة «السلام» و «الثائر» : « نجمة من كل ثائر/ نجمة من كل أبناء السلام /فردوا الرايات مثل الاجنحة / لن تمر الاسلحة (بسيسو، ١٩٨٧م:٧٩)

و فى ديوان الشعر الفلسطينى المعاصر نجد العديد من الأسماء الفلسطينية أمثال قادة الثورات و رموزها و أبطالها، ومثل هذه الظاهرة فى تصوير الشهداء أى تصريح الشعراء بأسمائهم و تسجيلها، نلاحظها كثيراً فى لغة الشعر الفلسطينى (انظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م:٣٤٢) كما يرثى أحمد دحبور «الشهيد كامل حمود» و هو يسجل اسمه : « قالوا: سنسميه كامل / فى اليوم الهارب من اغوار الصيف .../ و أتى كامل /حملوه على الراحات ، على أغصان الحزن الأخضر / فأضاء . . . فقالوا : نور / من يدرى و النار . . . المطر الوابل /تتدفق من كفيه ، و من رشاش الثارات الصاهل... » (دحبور، ١٩٨٣م:٢٠٤)

و هناک رموز توحى إلى أبعاد جديدة و لها دلالتها المتميزة، حيث اتخذت الأشعار الفلسطينية بعداً شعرياً آخر بعد النكبة ، كألفاظ الأب و الأم و الأخ و الأخت و الفلسطينى و الفلسطينية و اللاجئ و اللاجئة و الأهل و الأحباب و الأصحاب و ما إلى ذلک من أسماء ترمز للإنسان الفلسطينى فى كل مكان؛ كما يكرر معين بسيسو لفظ «الرفيق» فى قصيدته «المعركة» نشير إلى بعض أبياتها : « فإذا سقطنا يا رفيقى فى حجيم المعركة / فانظر تجد علماً يرفرف فوق نار المعركة / مازال يحمل رفاقک يا رفيق المعركة (بسيسو، ١٩٨٧م:٥٢).

و قد يشير الشاعر إلى تلک الشخصية باستعمال «الضمير»، من ذلک قصيدة «اجتراح معجزة يومية» لأحمد دحبور : «لم يشغل التحرير بال الصائح المحرور لكن حرر التقرير

عنی ، / قل وداعاً للسعيدة / قل وداعاً للبعيدة /قل وداعاً للطفولة و الرجال / و قل لأبسط أمهاتک : إننی أضمرت فی / هذا الوداع . . . /

« إلی اللقاء » (دحبور، ۱۹۸۳م:۷۶۱).

و من المميزات الأخری فی لغة الشعر الفلسطينی، استعمال الشاعر للألفاظ العصرية، حيث تتضمن أشعارهم العديد من الألفاظ التی تساير روح العصر من ذلک استخدام لفظ «رصاص» فی قصائد «کان يکتب ثم يشطب» و «ارفعوا الأيدی عن أرض الفتاة » لمعين بسيسو : « حينما جاؤوا اليه کان يکتب /ثم يشطب /کان فی دمه يلعب .../کان فی دمه يسبح .../فمه برعم نار/ اطلقوا عشر رصاصات عليه / و الفم البرعم فتح ... » (بسيسو، ۱۹۸۷م:۶۰۹)

ثم قصيدة «ارفعوا الأيدی عن أرض الفتاة » : « أنا أکتب من أجل القناة.../ بنجوم الدم تزهو فی النهار/ نجمة تومض من کل رصاصة/ أطلقتها من يد التل الکبير/ يد فلاح شهيد »(بسيسو، ۱۹۸۷م:۷۹)

و من ميزاتها الأخری احتوائها علی مضامين شعبية ، کالتراث الشعبی و العادات الاجتماعية؛ کما يشير أحمد دحبور فی قصيدة «الهاوية» من ديوان « زغردة النساء »: « فبأی الوجوه نقابل أم الشهيد ؟ ألا أستعير/ غراباً ليأسی المؤقت يسأل : فيم تزغرد أم الشهيد ؟ /أنا أعلن الان وقت البکاء /يا نساء فلسطين لا جرح ان بکيتن مر البکاء» (دحبور، ۱۹۸۳م:۷۲۹)

و تلک الميزة فی لغة القصيدة الفلسطينية ، نمت بذورها بعد نکبة سنة ۱۹۴۸ منذ أواخر الخمسينات و بداية الستينات فی القرن الماضی (انظر: أبوشاور، ۲۰۰۳م:۳۳۶) فإذا انتقلنا من المضمون اللغوی إلی الظواهر البارزة فی ألفاظ تلک اللغة فسوف نجد عدداً من الظواهر ، يمکن اجمالها فيما يلی :

اولاً: التکرار : و هو تکرار لفظة بعينها أو بعبارة ، داخل النص الشعری أکثر من مرة لمغزی خاص او يمکن بسبب ظاهرة موسيقية ؛ من ذلک تکرار کلمة واحدة بعينها ، أو کلمات مفردة أو کلمتين مرکبتين کقول الشاعر معين بسيسو : « تفاجئنی الأرض /أنّ أکف الصبايا / مرايا / و کف الشهيد ، بحجم السماء / تفاجئنی الأرض » (بسيسو، ۱۹۸۷م :۶۶۴)

و نجد تکرار لفظ «نجمة» فی قصيدة «ارفعوا الايدی عن أرض القتاة» لمعين بسيسو حيث قد کرر ليؤکد کرامة الشهيد و خلوده :« نجمة تومض من کل رصاصة ... /نجمة من کل ثائر . . . /نجمة من کل أبناء السلام . . . / نجمة من قلب عمان المجاهد . . . » (المصدر نفسه : ۸۰ – ۷۹)

و تكرار كلمة «أستغفر» فى قصيدة «عرس على الطريقة الفلسطينية » لأحمد دحبور: « أستغفر برد مخيمنا لو قلت : بكينا / أستغفر صبر الأعوام العشرين / أستغفر جيشاً مهزوماً يلقى التبعات علينا / أستغفر أمى . . . » (دحبور، ١٩٨٣م :٢٠٦)

ثانياً: النبرة الغنائية فى لغة الشعر الفلسطينى المعاصر و هى من الظواهر البارزة فى لغة الشعر الفلسطينى، إنها صالحة للغناء و التلحين، حيث إن العديد من تلك القصائد قد تم تلحينها و دخلت مجال الغناء ، حيث تتردد كأغان شعبية و حماسية ؛ و من ذلک قول احمد دحبور : « قل وداعاً للسعيدة/ قل وداعاً للبعيدة / قل وداعاً للطفولة و الرجال / و قل لأبسط امهاتک : إننى اضمرت فى / هذا الوداع . . ./ «الى اللقاء» (المصدر نفسه:٧٦١) .

و إذا انتقلنا بعد ذلک إلى ترتيب الألفاظ و الكلمات من أسماء و أفعال و حروف داخل نصوصها الشعرية ، فسوف نجد عدداً من الوجوه اللغوية . نجد مثلاً اللغة الفاعلة التى تركز على الفعل و الحركة و العمل داخل النص الشعرى ؛ كما يقول معين بسيسو فى قصيدة «يوميات ملقن مسرح »:«... و تخرجون تصرخون / تطلبون رأس قاتله . . . » (بسيسو، ١٩٨٧م :٣٢٨)

و قد تبدأ بالاسماء و مع ذلک تدل على الفعل و الحركة كقصيدة «صفحة من كتاب الاغوار» لأحمد دحبور:

« لمجاهد / فرح ، فى الأمر مرهون ، و أحزان صغيرة / و مجاهد / فرح النار تكتشف الأرض الأسيرة » (دحبور، ١٩٨٣م:٢٣٩)

و بتقديم لفظ »المجاهد» قد أكد على أهميته، و حثّ الشعب للجهاد كما يدل على الحركة و العمل .

ثم نجد اللغة المتسائلة ، و هى التى تركز –بشكل عام– على التساؤل فنجد فيضاً من الأسئلة داخل النصوص الشعرية التى بين أيدينا كما يقول أحمد دحبور : « فبأى الوجوه نقابل أم الشهيد ؟ ألا أستعير / غراباً ليأسى المؤقت يسأل : فيم تزغرد أم الشهيد ؟ » (المصدر نفسه:٧٢٩)

و نجد اللغة المنادية التى تركز داخل مضمونها على شىء ما تناديه ، و التى عادة ما تبدأ بحرف من حروف النداء ؛ كقول معين بسيسو:« يا أم على . . . / يا أم ثلاثه شهداء . . . /يا أم على . . . /مازال على الحائط حجر/ تكتبه شجرة ورد حمراء . . . » (بسيسو، ١٩٨٧م :٦٥٣)

تلک الوجوه المختلفة للغة الشعر الفلسطينى ، تحمل بين طياتها رؤى خاصة. فهى أولاً تزيد النصوص الشعرية روعة و جمالاً ، ثانياً تضفى على النصوص عنصرى المفاجأة و الدهشة، لا سيما حين ينتقل الشاعر من وجه إلى وجه آخر ، و ثالثاً تخلق لدى القارئ

مفهوم المشاركة و خاصة عبر اللغة المتسائلة، فطرح السؤال من قبل الشاعر يحمل على إشراک المستمع أو القارئ فی البحث عن إجابات لتساؤل الشاعر ، فالألفاظ تحمل بين ثناياها علاقات خاصة تربطها بغيرها من الألفاظ ، تلک العلاقات التی يخلقها الشاعر للتأكيد عليها من خلال وعيه بها(أنظر : أبوشاور، ۲۰۰۳م : ۳۶۳– ۳۶۲) .

الصورة

الصورة فی الشعر هی وسيلة من وسائل الشاعر ، للتعبير عما فی نفسه من أحاسيس و مشاعره ، و نقل تلک الأحاسيس للقارئ من خلال إيجاد علاقة بين شيئين أو أشياء مختلفة، و قد تكون تلک الرابطة حقيقية، أو مجازية، و هی «تشكيل جمالی تستحضر فيه لغة الإبداع الهيئة الحسية أو الشعرية للأجسام أو المعانی بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر و تجربته، وفق معادلة فنية بين طرفين : هما المجاز و الحقيقة، دون أن يستبد طرف على آخر » (عباس، ۶/ ۱۹۸۶م:۱۳۴) و هنا نبحث عن الصورة الشعرية فی شعر دحبور و بسيسو.

الصورة التقليدية القديمة

و هی الصورة التی تعتمد –غالباً– على الخيال الحسی و ألوان البيان فی البلاغة العربية القديمة كالتشبيه و الاستعارة و الكناية و المجاز(أنظر: أبوشاور، ۲۰۰۳م:۳۶۴). و من التصوير الحسی المباشر تلک الصورة التی ينقلها الشاعر أحمد دحبور:

« نفذت كالسيف /فی القلب الأخضر» (دحبور، ۱۹۸۳م:۲۰۶)

و قد شبه دم الشهيد و تأثيره بسيف يؤثر فی القلوب الصافية و فی قصيدة «المعادلة» : « إنی أصحح : لا تعلق الأرض فی شرک /يوم تصرخ كل حصاة بكل شهيد : /ورائی عدو فخذه . . . » (المصدر نفسه:۶۲۰)يجسد الشاعر حصاة فی قالب انسان يصرخ و ينقل نداء الشهيد .

و أيضاً قول معين بسيسو : « و كف الشهيد ، بحجم السماء... / و يرسم فلسطيننا المقبلة » (بسيسو، ۱۹۸۷م:۶۶۵) كناية عن تأثير الشهيد الفاعل فی ترسيم مصير بلده .

و قد يلجأ الشاعر إلى المجاز لبيان ما هو قصده بروعة اكثر و تأثير أبلغ، كما يقول معين بسيسو : « بنجوم الدم تزهو فی النهار/ نجمة تومض من كل رصاصة » (المصدر نفسه، ۱۹۸۷م:۶۶۵)فـ (نجوم الدم) هنا مجاز من الشهداء .

الصورة التقليدية الجديدة

و فی السبعينات طور شعراء النكبة ملامح البلاغة القديمة ، فإذا كانت العلاقة بين المشبه و المشبه به فی الصور التقليدية القديمة بوجود تقارب فی تلک العلاقة، فإنها فی شعر شعراء

النكبة اعتمدت على التباعد بين المشبه و المشبه به فى العلاقة القائمة بينهما(انظر: أبوشاور، ٢٠٠٣م:٣٨٥)؛ كقول الشاعر احمد دحبور : « و أتى كامل / حملوه على الراحات، على أغصان الحزن الأخضر » (دحبور، ١٩٨٣م:٢٠٤)

فقد شبه الشاعر (الحزن) إلى شجرة لها أغصان و فى الحقيقة قد وظف الشاعر الإستعارة المصرحة لأنه حذف المشبه به و لا توجد علاقة بينهما .

الموسيقى

إن للموسيقى أثراً بالغاً فى الخطاب الشعرى لا يقل عن أثر الصور، لأنها تتلاءم مع الصورة لإيجاد بنية القصيدة و هذا الأثر الفاعل هو الذى يسبب اهتمام النقاد بالوزن الشعرى من النقادالعرب القدامى والمعاصرين (انظر: على، ٢٠٠١م:٢١٥).

يقول ابن رشيق فى تحديد ماهية الشعر «الوزن أعظم أركان حدّ الشعر و أولاها به خصوصية» (القيروانى، ١٩٧٢م: ١ /١٣٤) و العلاقة الوثيقة بين الصورة و الوزن توجب على الشاعر اتخاذ اللفظ الملائم و المنسجم موسيقياً، بحيث تكون هناك موازنة دقيقة بين الألفاظ و نغمها فى تشكيل القصيدة .

و مع أن الإيقاع/ الموسيقى عنصر أساسى فى الشعر و لكنه ليس وحده سلطة تمييز الشعر عن النثر، فما يميز الشعر ليس قواعد الوزن و القافية بل هناك عناصر أخرى تمنح النص اللغوى هويته الشعرية،(أنظر : على، ٢٠٠١م :٢١٦) فالإيقاع «يتسم بحيوية نغمية موسيقية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموسيقية اللغة و تركيبها الإيقاعى من جهة، و بطبيعة التشكلات الموسيقية التى نمتها الفاعلية الفنية العربية، من جهة أخرى» (أبوديب ، ١٩٨١م:٤٣) و مع تطور الشعر الحر بدأ الشعراء يعتمدون على التفعيلة و هى وحدة أساسية فى القصيدة، كما اعتمدوا إلى استخدام أوزان عديدة من القصيده الواحدة، فحين تداخلت الأصوات، فى القصيدة الواحدة، لم يجد الشعراء بداً من التعبير عنها بالإيقاعات الموسيقية المتعددة، و هكذا فإن الشاعر الحديث لم يلغ الوزن رغبة منه فى تسجيل انسجام القصيدة مع المشاعر و اختيار الوزن الملائم معه، فصار الشاعر يتحرك نفسياً و موسيقياً وفق حركة الشعور و النفس (انظر: على ، ٢٠٠١م :٢١٦).

و فى الموسيقى يعدّ الوزن و القافية عنصرين أساسيين، و هو ينقسم إلى الحوار الخارجى و الداخلى .

الإيقاع الخارجى

يألف الوزن فى الإيقاع الخارجى من مجموعة التفعيلات التى تتكون منها بحور الشعر العربى و هى الموسيقى التى تعتمد على وحدة البيت، بحيث يتكون البيت من شطرين

متساويين فی عدد التفعيلات ، و تتكون القصيدة من عدد من الأبيات المتساوية فی الوزن عروضياً (انظر : أبوشاور، ۲۰۰۳م:۴۰۳).

حسب دراسة قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو يبدو أن الإيقاع الخارجی لم يشمل القصائد المنشودة فی مجال الشهيد و الشهادة لهذين الشاعرين.

الإيقاع الداخلی

و الإيقاع الداخلی للقصيدة حركة موقعة فی بنائها أو نسيجها، يتمثل فيما يتوافر فی النص الشعری من وقوف داخلية ، و ضروب بديع، و حروف مد، و الإنسجام بين هذه الظواهر و بين جو القصيدة أو تجربة الشاعر النفسية .

و يری الياس خوری أن الإيقاع الداخلی حركة بدوره ، لكن هذه الحركة تتشكل فی البناء الداخلی للقصيدة و هی حركة مستترة غير مسموعة. و الموسيقی فی الشعر ليس فقط التفعيلة و أنواع تشكيلها بل أجزاء أخری يجری توقيع الموسيقی بها :

۱)التركيب اللغوی حينما ينتظم فی أنساق من الموازنات و التقطيع .

۲)التكرار وفق أشكال موظفة لتأدية دلالتها .

۳) التوزيع و التقسيم علی مستوی جسم القصيدة ، بهدف دلالی محدد .

۴)التوقيع علی جرس بعض الألفاظ المعجمية و الموازاة بين حروفها » (علی، ۲۰۰۱م:۲۴۶).

فندرس القصائد من حيث الايقاع الداخلی و من هذا قول معين بسيسو : « يذهب للخندق / ضيف آخر بالبيت الشهداء / الشهداء الجدد ، علی مائدة الشهداء القدماء » (بسيسو، ۱۹۸۷م،۶۳۳)

فنلاحظ بساطة واضحة فی اللغة و لهجة أليفة يعبر بها الشاعر عن كثرة الشهداء و انضمام الشهداء الجدد إلی الشهداء القدماء و الايقاع هنا ناتج عن القوافی الداخلية التی شكلت وقفات اختيارية للقارئ .

و من الظواهر البارزة التی تؤدی إلی إيجاد الإيقاع هو التكرار كما يقول احمد دحبور : « قل وداعاً للسعيدة / قل وداعاً للبعيدة / قل وداعاً للطفولة و الرجال / و قل لأبسط أمهاتک ؛ إننی اضمرت فی / هذا الوداع . . . / « إلی اللقاء» (دحبور، ۱۹۸۳م:۷۶۱)فيكرر الشاعر مفردات «قل وداعاً» بعينها و يشكل الإيقاع الشعری .

كما رأينا فی السابق أن عدد التفعيلات فی أسطر الشعر الحر لا تعتمد علی نظام معين ، بل تعتمد علی طول نفس الشاعر و قصره و علی مدی انفعال الشاعر ، فانتهاء السطر الشعری شیء يحدده الشاعر نفسه. و من اختلاف هذه الأسطر ينتج التنسيق الداخلی للقصيدة كما

يقول معين بسيسو : « حينما جاؤوا اليه كان يكتب / ثم يشطب/ كان فى دمه يلعب / كان فى دمه يسبح / فمه برعم نار...» (بسيسو، ۱۹۸۷م:۶۰۹).

فالشعر الفلسطينى أخذ يتجه نحو الشعر الحر منذ نكبة ۱۹۴۸، حيث اتجه عدد من الشعراء الفلسطينين و منهم أحمد دحبور و معين بسيسو إلى استغلال إمكانات الشعر الحر و الاستفادة من تجارب الشعراء العرب الجدد فى هذا المجال .

و بالتالى نستطيع القول إن الشعر الفلسطينى المعاصر و منه أشعار دحبور و بسيسو قد تطور موسيقياً و كانت النكبة فى حد ذاتها عاملاً من عوامل التطور و مسايرة الحركات التطويرية الأدبية التى مرت بها المنطقة العربية أدبياً بشكل عام و شعرياً بشكل خاص .

نتائج البحث

-إنّ قضية الشهيد قد تجلّت فى قصائد أحمد دحبور و معين بسيسو بكل أبعادها حيث إنهما قد اهتمّا بمضامين مختلفة من هذا الموضوع مثل: الشهيد و الوطن، خلود الشهيد، وداعه مع أهله، الشهيد و أمه و استمرار حركة الاستشهاد .

-يبدو أن قصائد دحبور و بسيسو تطورت فى السبعينات و لكن قد أثّرت الحداثة على قصائد دحبور بشكل مباشر و تتميّز هذه الأشعار بالتجريب فى الأشكال الشعرية الموزونة عندما تحافظ قصائد بسيسو على بساطتها و الخطابية التحريضية.

-موضوع الشهيد بكلّ مضامينه قد وظّفه أحمد دحبور أكثر من معين بسيسو و ربما يعود هذا إلى أنّ بسيسو كان منتمياً إلى الماركسية فالنزعة الدينية فى دحبور أقوى فتطرقه إلى موضوع الشهيد و الشهادة أكثر من بسيسو .

-و بما أنّ دحبور و بسيسو من الشعراء الفلسطينيين الذين قد شاهدوا معاناة شعبهم عن قرب، فيبدو أنّ قصائد دحبور و بسيسو من حيث اللغة الشعرية تعدّ من القصائد التى وجد فيها كثير من الألفاظ و المصطلحات نتيجة لوقوع كارثة سنة ۱۹۴۸م و تحتوى على المضامين الشعبية .

-و ربما من الظواهر البارزة المشتركة فى قصائد دحبور و بسيسو هى التكرار، النبرة الغنائية، اللغة المتسائلة و اللغة المنادية و تقريباً يمكن القول إنّ التجدد فى اللغة الشعرية فى قصائد كلا الشاعرين قد حدث حسب الظروف السائدة فى فلسطين، فقصائدهما محفوفة بالألفاظ و المفردات الناتجة عن الصراع.

- حسب دراسة الصورة التقليدية القديمة فى القصائد نجد أن دحبور و بسيسو كليهما قد عالجا الصورة التقليدية القديمة فى قصائدهما.

-و بالنسبة إلى الصورة التقليدية الجديدة يمكن أن نقول إن دحبور قد وظّفها فی قصائده حيث إننا لم نحصل على هذه الظاهرة فی قصائد بسيسو و ربما هذا يعود إلى أنّ قصائد بسيسو لم تتأثر بالحداثة، بينما أثّرت الحداثة على قصائد دحبور بشكل مباشر.

-يبدو أنّ هذين الشاعرين لم يتطرقا إلى الإيقاع الخارجی فی قصائدهما و قد تجلّى الإيقاع الداخلی فی قصائد بسيسو أكثر من قصائد دحبور .

المصادر والمراجع

١-الأزهری، أبومنصور.(د. ت). **تهذيب اللغة**، القاهرة: الدار المصرية، ج ,٦

٢-آذر شب، محمد علی. (د. ت). **اندفاع نحو الشهادة** ، طهران : وزارة الإرشاد الإسلامی .

٣- ابو ديب، كمال. (١٩٨١). **فی البنية الايقاعية للشعر العربی** ، بيروت : دار العلم ، ط ٢ .

٤-ابو شاور، سعدی .(٢٠٠٣). **تطور الاتجاه الوطنی فی الشعر الفلسطينی المعاصر** ، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط ١ .

٥-بسيسو، معين (١٩٨٧). **الأعمال الشعرية الكاملة** ، بيروت ، دار العودة ، ط ٣ .

٦-الجبيلی، عبدالرحمن مرضی علاوی (٢٠٠٥). **الشهادة و الشهيد فی الشعر العربی فی صدر الإسلام و العصر الأموی**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط,١

٧-الجيّوسی، سلمی الخضراء(١٩٩٧). **موسوعة الأدب الفلسطينی المعاصر**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج١، ط,١

٨-دحبور، احمد .(١٩٨٣). **الأعمال الشعرية الكاملة** ، بيروت ، دار العودة .

٩-صدوق، را ضی .(٢٠٠٠) . **موسوعة شعراء فلسطين فی القرن العشرين** ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط ١ .

١٠- عباس، احسان. (٢٠٠١). **اتجاهات الشعر العربی المعاصر**، عمان: دار الشروق، ط ٣ .

١١-عباس ، احسان .(١٩٨٦). **حوار فی مجلة «الاقلام»** ، ٦ ، بغداد .

١٢-علی ، ناصر(٢٠٠١). **بنية القصيدة فی شعر محمود درويش** ، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط ,١

١٣-الفيروزآبادی، محمد بن يعقوب .(د. ت). **القاموس المحيط**، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج,١

١٤-قميحة ، جابر.(٢٠٠١). **أدبيات الاقصی و الدم الفلسطينی** ، مركز الإعلام العربی .

١٥-القيروانى، ابن رشيق .(١٩٧٢). **العمدة فى محاسن الشعر و آدابه و نقده** ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، بيروت : دار الجيل ، ط ١ .

١٦-مصطفى، خالد على .(١٩٨٦). **الشعر الفلسطينى الحديث** ، العراق : دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٢ .

فصلنامهٔ لسان مبین(پژوهش ادب عربی)
(علمی -پژوهشی)
سال چهارم دورهٔ جدید، شمارهٔ دهم ، زمستان ۱۳۹۱

سیمای شهید در شعر احمد دحبور و معین بسیسو *

رقیه رستم پور
استادیار دانشگاه الزهراء(س)
فاطمه شیرزاد
دانشجوی دوره دکتری دانشگاه الزهراء(س)

چکیده

مسالة شهید و شهادت یکی از مسائل مهمی است که ادبیات معاصر فلسطین، بویژه شعر آن کشور، پس از فاجعة ۱۹۴۸م. بدان پرداخته است؛ زیرا پس از آنکه جوانان فلسطینی وارد صحنة مبارزه شدند، موضوع مقاومت نیز وارد ادبیات از جمله شعر شد و جلوه هایی متعدد در آن نمود و بروز یافت؛ از جمله شهادت در راه وطن که از مهمترین مسائل مطرح شده در این اشعار است. جاودانه بودن شهید و تأثیر پذیری جامعه از خون او، از جمله مضامین مهم این اشعار است؛ بطوری که حفظ پرچمی که شهید برافراشته میسر نخواهد شد، مگر با ادامه راه شهید که شعرای فلسطینی بسیاری در این عرصه قلم فرسایی کردند.

«احمد دحبور» و «معین بسیسو» از جمله شعرای فلسطینی هستند که به موضوع شهید و شهادت در اشعارشان پرداخته و متون شعری خود را از این موضوع سرشار نموده اند؛ هرچند تفاوتهایی نیز میان قصایدشان به چشم می خورد. این مقاله درصدد است ضمن نگاه اجمالی به موضوع شهید در اشعار این دو شاعر، به اسلوب فنی این اشعار از ۱۹۴۸م. تا ۲۰۰۰م. بپردازد.

کلمات کلیدی

شهید، احمد دحبور، معین بسیسو، زبان شعر، تصویر پردازی، موسیقی.

---

* تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۰۶/۲۰ تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۱/۱۲/۲۱

نشانی پست الکترونیکی نویسنده:**mrostampour2020@yahoo.com**